نقول على ما هنا وتنقيد

الله تعالى ومما يدل على ان قبول التوبة ليس بواجب عقلا ان فواصل
الآي المذكور فيها التوبة انما هي غفور رحيم ونحوها فيفهم من ذلك ان
قبوله تعالى للتوبة انما هو من حيث انه كثير الرحمة والمغفرة وهذا
هو الجادة العظمى في القرآن الكريم وما خالف ذلك وهو يسير فلسر
آخر لا دليل فيه على عدم وجوب قبولها كقول عيسى عليه افضل الصلاة والسلام
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فكانه قال فلا اعتراض عليك فانك
غالب على امرك بالغ الحكمة لما كان الكلام في الكفرة الذين اعدت لهم
النار اصالة فتستبعد المغفرة لهم فالفاصلة مطابقة ايضا نظرا الى
هذا الغرض وكذلك قوله تعالى في المومنين والمومنات اولئك سيرحمهم
الله ان الله عزيز حكيم لما وصفهم بتلك الصفات العظيمة خصهم
بالرحمة وفيه ان تلك الصفات مع اجتماعها غايتها ان تجعلهم اهلا
لان يرحمهم واسع الرحمة وتخصهم بذلك فكان مظنة ان يقال الرحمة من
حيث ان هي رحمة يناسبها النعيم ومن كان هالكا غرقا في الوبال فهو
بالرحمة اجدر فقال ان الله عزيز حكيم اي غالب على امره لا يعترض عليه
لا يسال عما يفعل وهو بالغ الحكمة فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم
وانتم لا تعلمون وتجري على نحو هذا سائر الآيات كما يفعله صاحب الكشاف
الا انه يزله على مذهبه في الوعيد كما هي عادة غالبة على الناس في جعل
المذاهب مركزا وتنزيل الكتاب والسنة عليها واذا قلت لهم في ذلك
قالوا اليه الدليل الذي دل على صحة المذهب واذا نظرت الى ذلك المذهب
ودليله وجدت بين ذلك الدليل وبين ما عطفوه البعد ما بين السماء والارض
وان شئت فانظر وعادل بين العمومات التي يدندن حولها الوعيدية
وبين قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء

وانظر كيف اطرح الزمخشري صناعته

الباهرة ونكص عن امامته الظاهرة فقال معنى الاية ان الله
لا يغفر ان يشرك به لمن لم يتب ويغفر ما دون ذلك لمن تاب فعطل فائدة
الآية وساوى بينهما وبين ما لو قال ان الله لا يغفر الشرك ولا يغفر ما دونه
او لا يغفر الشرك ولا ما دونه بان جمعهما في نفي او اثبات او فرقهما مع تقييد

بحث في الرد على الزمخشري تأمل

احدهما

احدهما باحدهما وعكسه ومن عما التعصب انه ضرب مثلا هو نقيض الآية
وجعله نظيرا لها فقال وهو قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار
لمن يشاء يريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله
ونظير هذا في كلام الاشاعرة قولهم في قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو
يدرك الابصار الآية صبروا معناها لا تدركه بعض الابصار وتدركه
بعضها في بعض الاوقات فعلى هذا لو قال تدركه الابصار لبقي ذلك
المعنى المراد بزعمهم على حاله وهذا لعمرك التحريف ويكفيك صنع
الفريقين في هاتين الآيتين آية ثم تتبع بعد ان تغسل قلبك مما وسدته
من وسخ العصبية وكلام الزمخشري على هذا النمط في رعاية المذهب
فان صادف محلا عريا خاليا عن المذهب فالامام الذي لا يطاول والهزبر
الذي لا ينازل ثم قابله الآخذون من كتابه كالبيضاوي الذي قلما
تحصلون على طائل غير ما في كتابه وان اعجبك شيء زادوه في موضع
فهو ماخوذ من كلامه من موضع آخر وانما مرتبتهم في غرضهم ازالة مذهب
الزمخشري وتجريد فوائده ولم يقدروا على ذلك فكثيرا ما يبنون كلامهم
على مذاهب الاعتزال مع اجتهادهم ان ينزلوا كتاب الله الذي لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه على تلك القواعد المتهافتة من نفي الحكمة
والغرض وصفات الافعال ومن الجبر ووجوب المراد وغير ذلك وهذا شيء
عارض في هذا الموضع اوجبه الشغف بتصحيح الامثال والتنويه بما انعم الله تعالى به
وله المنة من التبري ومن الاعتصام بمذهب مخصوص عينه وسميته
واعتقاد ان ما عداه بدعة وضلال فلقد صار الاقتصار على مذهب معين
في الاصول وفي الفروع امرا محتوما وكان الآخذ من كل قول احسنه صار
بطلا تهمة الدين معلوما بل اخص من هذا وهو اشتراط ان يكون المذهب
للآباء والاسلاف وعلى طريقة من سقط راسك في حجره من الاخلاف فان
قلت ما قولك في وقوع قبول التوبة بحسب الدليل السمعي قلت
بين الاشعرية خلاف هل هي مقبولة قطعا ام ظنا والحق ان قبولها بفضل
الله تعالى على الجملة قطعي فانه شاع ذلك وذاع في الكتاب والسنة حتى
كاد يلحق بالضروريات من الدين خلا انه لم يبلغ الى حد يمنع التخصيص لو

Copyright © King Saud University